ثقافة

ماذا تقول الكلمات ؟

ماذا تقول الكلمات ؟

حين يسقط الجسد على الارض ، ويستقر الرصاص في الفم . ماذا تستطيع الكلمات ان تفعل؟

حين يتحول سلاح النقد الى نقد السلاح ، تتراجع الكلمات لتتحول الى رصاص يبحث عن فاعليته ، خارجا من بحار الدماء التي تنزف داخل جسد التمرد والثورة .

ماذا تقول الكلمات ؟

على أطراف القافلة الفلسطينية التي علمتنا ان الكلمة جسد يخرج منه الرصاص . تتجمع الكلمات لتشهد ان الكلمة سلاح . وان نقد السلاح هو الجزء المتمم لسلاح الكلمات . وان الثقافة فاعلية نضالية ، تخترق حجاب الموت الى الموت نفسه . فكمال ناصر ورفاقه الذين سقطوا وعلى جسدهم يخلط الحبر بالدم ، رسموا للثقافة العربية مجدا نقف أمامه لنتمثل دروسه .

ماذا تقول الكلمات ؟

حين يصبح الادب شكلا من أشكال الموت. صليبا على مدرجات الرصاص نحمل الكلمات ونخترق المدرجات ، وصولا الى شكل الموت . هنا الفعل لا ترقب الفعل . هنا الموت في معانقة ثورية للفرح . هنا يتراجع كل شيء ، ويقف الجسد الملطخ بالحلم الدموي وحده . ويصبح للكتابة مذاق الارض نفسها ، ويلون الدم جميع الاوراق ، حيث تستقر الاقلام في البنادق .

---

* كمال ناصر : **الآثار الشعرية** . اعدها وقدم لها د. احسان عباس .
كمال ناصر : **الآثار النثرية** . اعدها وقدم لها ناجي علوش .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .
الطبعة الاولى آذار ـ نيسان ١٩٧٤ .

عندما نقف أمام ذكرى كمال ناصر ورفاقه ، لا نتساءل عن الموت ، بل عن شكل الفجيعة التي جبلت الجسد بالاوراق واخرجت زمنا جديدا يصل الارض بأجساد الرجال . لذلك حين نقرأ كلمات كمال ناصر نكتشف ان الموت لا يسمح للكتابة بالتعامل مع النصوص كما تتعامل مع الشعر عادة. بل تصبح الكتابة لحظة تأمل للجسد الذي تتناثر عليه الابجدية في مئة احتمال لشكل القصيدة . لا نستطيع ان نتعامل مع كمال ناصر بوصفه شاعرا او كاتبا . انه جسد يؤشر للاحتمالات جميعا ، ويرسم بين لحظة واخرى صرخة نسميها شعرا او ذكريات ، لكنها صرخة لا تكتشف شكل الشعر ، بل تبحث عن شكل الموت . هكذا نصطدم حين نكتب عن آثار كمال ناصر باستحالة اي شكل من اشكال النقد . فلقد ترك القصيدة امكانية وذهب يبحث عن الثورة . تاركا لجسده حرية الصليب .

نفتح الكتابين ونقرأ . تخرج القضية عارية ، ونسمع صراخ الحقد الذي ينفجر :

« أما يعود اللاجئون او ان يموت اللاجئون »

ونستمع الى الجراح وهي تغني ، تكتشف كيف يصبح الموت بابا للوصول الى الارض ، وكيف تمشي قافلة الشهداء نحو الثمار :

« وقل لوحيدي ، اذا زار قبري
وحن لذكري
بأني سأرجع يوما اليه
لاجني الثمر !! »

وعندما يخفت الصوت في مخاطبة حميمية مع الام ، فان المعركة وحدها هي الافق . هي المصير وقد تجمع في زمن اللحظة الواحدة . لذلك يسكت صوت الحنين ويرتفع صوت التحدي :

« صلبت مصيري هناك
هناك بين الشعاب
وألمحه باسما هازجا